

المحور الرابع: دور التراث العمراني و المعماري في النهوض بالاقتصاد

العنوان: دور التراث المعماري والعمراني في تنمية الاقتصاد الحضري. دراسة حالة مدينتي تونس

العتيقة وقصبة الجزائر العاصمة.

وهيبة بوشامة^{2*}

منير قيزاني¹

¹مخبر البحث الحوكمة والتنمية الترابية كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة تونس

² استاذة محاضرة أ المدرسة العليا للاساتذة بوزريعة الجزائر

الملخص:

يعتبر البعد الاقتصادي من أهم الأبعاد التي تثير تساؤلات كبرى في الدراسات المتعلقة بالأنسجة التاريخية وتعالج مدى قدرة المدن العتيقة على المحافظة على دورها ووزنها الاقتصادي الذي تمثله الأسواق المتخصصة وورشات الإنتاج الحرفي وكذلك التراث العمراني الذي أضى منتوجا يمكن أن يجذب الاستهلاك الوطني والعالمي. إن الحيز التاريخي بمكوناته العمرانية ومعالمه منطقة جذب واستقطاب وتفاعل مع محيطه المجالي، ومجال علاقات وأدفاق وحركة وإنتاج تستقطب القوى العاملة والمبادرات الخاصة وتخلق منتجات تعبر عن هوية وخصوصية ترابية. تعمل هذه الورقة البحثية على بيان الدور الذي يمكن أن تلعبه المعالم الأثرية والتراث العمراني في الاقتصاد الحضري. أي هل يمكن أن يكون التراث الحضري مقوما ودعاما للتشغيل والتنمية؟ خاصة وأنه دائما ما ينظر إلى المدن القديمة كمجالات متداعية للسقوط ومتقدمة تمر بأزمة وظيفية ولا تستجيب لمتطلبات الحاضر؟ ومن خلال دراسة حالة كل من مدينة تونس العتيقة (البلاد التونسية) وقصبة الجزائر العاصمة (الجزائر) اللتان تعدان من أقدم العواصم في شمال إفريقيا والمصنفتين في قائمة اليونسكو كتراث عالمي واللتين تملكان قيمة أثرية وتاريخية هامة.

حيث نجد أن قصبة الجزائر العاصمة تمتد على مساحة 105 هكتار و يعود بناؤها إلى المرحلة العثمانية وقد صنفت ضمن التراث الإنساني العالمي من طرف اليونسكو سنة 1992. أما مدينة تونس العتيقة فهي الجزء القديم من مدينة تونس وقلب العاصمة التونسية، تمتد على نحو 30 هكتار من باب الفلة وباب عليوة من الجهة الجنوبية، إلى باب سعدون في الجهة الشمالية، ونجد باب العلوج من الجهة الغربية، وباب البحر من الجهة الجنوبية. صُنفت منذ عام 1979 ضمن لائحة مواقع التراث العالمي لليونسكو.

حيث شهد المركز الخاص لكل من المدينتين تحولات كبرى شملت محتواه الاقتصادي وتوطنه المجالي بعد تمدد المجالات الحضرية نحو الأحياء الطرفية وتشكل مركزيات ثانوية جديدة توطنت بها خدمات القطاع الثالث العالي. ونتيجة هذه الديناميكية انحصر دور المركز عموما و نواة المدينة العتيقة خصوصا و أفرغ من محتواه الوظيفي خاصة مع تراجع حاد في الحجم السكاني وإعادة إسكانهم في الضاحية. و مع بداية فقدان الخصوصيات المعمارية والوظيفية لجأت السلطات و المهتمون بالمسألة التراثية في وضع آليات الحفاظ والحماية والتممين لهذا المجال.

ومن خلال المثالين سنحاول قياس دور البنية الأثرية في الاقتصاد، ومقارنة الأداء الوظيفي بكل من المثالين والوقوف على أهم المحددات والدعائم التي تفسر قدرة البنية التراثية على جذب الاستثمارات والزوار والمساهمة في الدينامية الاقتصادية. ولبيان هذا التمشي سنتبنى منهجين وهما المنهج التحليلي والمنهج المقارن لاستفادة من مكامن القوة والضعف في كل المثالين.

الكلمات المفتاحية: قصبة الجزائر، المدينة العتيقة تونس، الأنشطة الاقتصادية، التنمية المحلية، التراث المعماري و العمراني.

1-مقدمة:

تختزن المدن التاريخية تاريخ و تراث المنطقة التي تتواجد فيها و تحفظه للأجيال القادمة ، ولكل مدينة تاريخية هويتها الخاصة و مميزات المرتبطة بشكل مباشر بما بلغته الحضارات القديمة من تطور اجتماعي و معماري و فني و هو ما يكسبها أهمية بالغة تفرض الحفاظ عليها و صيانتها بطريقة تواكب من خلالها التطور الحضري لمحيطها(العاني 2008) .
تعتبر القصبات إحدى المعالم التاريخية الشاهدة على المدينة عبر التاريخ، و القصبة لغة تعني "القلعة" التي بنيت في أعلى الجبل. اصطلاحا هي المدينة التاريخية وهذا حسب تعريف PAGAND للمدينة التاريخية بحيث تحتوي على مقر السلطة وتعرف من الخارج عن طريق أبوابها و أسوارها(حموش 2004).

فمنذ النصف الثاني من القرن 19 برزت أهمية المدينة القديمة كموروث عمراني و أصبحت تشكل بأبنيتها التاريخية مع المناطق التي تحيط بها الجزء الأكثر قيمة من الثروة الثقافية للأمم لأنها تعبر عن إحساسهم بماضهم و اعتزازهم بتاريخهم خاصة و أن فكرة صيانة المنشآت التاريخية كانت ضرورة حتمية لضمان استمرارية الحاضر و ربطه بالماضي كما أن المدن العتيقة تعتبر المرتكز الأساسي للتراث الوطني و جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية و الذاكرة الجماعية المشتركة ، فقد عملت دول العالم في السنوات الأخيرة على إيلاء هذا الموروث أهمية خاصة و تبوئيه مكانة هامة في سياسات الدول من خلال تعزيز إطاره السياسي و المؤسساتي و القانوني ثم أيضا عن طريق تقوية و دعم دور و قدرات الفاعلين و المتدخلين في الحفاظ عليه مع إبراز أهم التحديات التي تواجهه و التفكير في المقاربات الممكنة للحفاظ عليه و رد الاعتبار له.

2-قصبة الجزائر العاصمة:

تاريخ إنشاء قصبة الجزائر فيعود إلى سنة 950 م، وكان ذلك على يد "بلكين بن زيري" ليعاد بنائها سنة 1516 م على يد العثماني "عروج بربروس" وعليه يمكن أن نقول أن الجزائر عرفت قصبتيان، الأولى قصبة بلكين بن زيري و الثانية قصبة عروج.

شكل رقم 01: الموقع الجغرافي لقصبة الجزائر



المصدر: الباحثة بوشامة بواسطة التطبيق QGIS3.4

فلكيا، تقع بلدية القصبة على خط عرض 36° شمالا ، وخط طول 44.0° شرقا أما جغرافيا فهي منطقة تاريخية تقع في قلب مدينة الجزائر ، شمال الجزائر في الحوض الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط ، وهي تابعة إداريا لدائرة باب الوادي طبقا للأمر رقم 14/97 المؤرخ في 1997/05/31 المتعلق بالتنظيم الإقليمي لولاية الجزائر. يحدها شرقا وشمالا البحر الأبيض المتوسط ، غربا بلديتا " باب الوادي " و " وادي قريش " ، جنوبا بلدية الجزائر الوسطى .

1-2- التطور الديمغرافي لسكان القصبة:

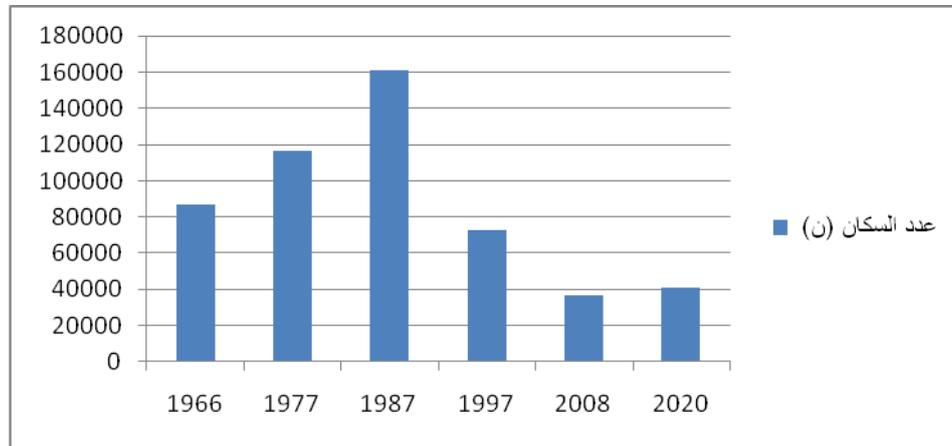
عرفت هذه المدينة مراحل تاريخية مهمة و لكن لم يختلف واقعها الحضري والاجتماعي بعد الاستقلال كثيرا، خاصة في ظل أزمة السكن الناتجة عن النزوح الريفي، حيث وصل عدد سكان العاصمة الى قرابة 1.000.000 نسمة في سنة 1966 و1.300.000 نسمة في 1970 بعد أن كان 600.000 نسمة في 1962 ، أما بشأن القصبة فقد قفز عدد سكانها من 87045 نسمة عام 1966 إلى 160657 عام 1987 لينخفض في 1997 إلى 72856 نسمة و وصل خلال تعداد 2008 إلى 36762 نسمة .

جدول رقم 01: نمو سكان القصبة خلال الفترة (1966 – 2008)

السنوات الإحصاء	1966	1977	1987	1997	1998	2008	2020
عدد السكان (نسمة)	87045	116398	160657	72856	50454	36762	40734

المصدر: التعدادات السكان و السكن (1966 – 2008 + تحليل الباحثة بوشامة .

شكل رقم 02: نمو سكان القصبة خلال الفترة (1966-2020)



المصدر: الباحثة بوشامة بناء على احصائيات الديوان الوطني للإحصاء.

من خلال ما سبق نلاحظ أن نمو سكان القصبة مر بثلاث مراحل أساسية :

- الفترة (1966 - 1987) : تمثل الفترة التي تلت الاستقلال حيث تضاعف عدد السكان في مختلف بلديات الجزائر ومن بينها القصبة و يتجلى ذلك بوضوح في نسبة النمو الموجبة (33.7%) ، بسبب تحسن الظروف الصحية والمعيشية لمعظم فئات المجتمع .

استمر عدد السكان في الارتفاع حتى بلغ الذروة سنة 1987 ، حيث عرفت المنطقة تشبعا سكانيا.

● الفترة (1987 – 2008) : خلال هذه الفترة بدأ عدد السكان بالانخفاض حيث شهدت القصبة تفريفا سكانيا نتيجة حملات الترحيل لأصحاب المساكن المهدة بالانهيار و أصبحت طاردة للسكان بعدما كانت منطقة مستقطبة للسكان في الماضي القريب .

● الفترة (2008 – إلى يومنا هذا) : رغم عدم وجود إحصائيات رسمية دقيقة لهذه الفترة إلا أنه يرجح أن عدد سكان القصبة استمر في الانخفاض حتى يومنا هذا ، بسبب حملات الترحيل المتواصلة بحيث استفادت 614 عائلة تقطن حي القصبة العتيق من سكنات اجتماعية جديدة وذلك كما يلي :

.ترحيل و إعادة إسكان 392 عائلة سنة 2014

.ترحيل و إعادة إسكان 222 عائلة سنة 2018

.ترحيل 255 عائلة سنة 2019(الجزائر 2019)

.ترحيل 450 عائلة سنة (الجزائري 2021)

و يعتبر إفراغ القصبة من سكانها من العوامل التي أثرت في تراجع الوظيفة الاقتصادية بها خاصة فيما يتعلق باندثار الصناعات التقليدية و غلق المحلات لتدهور حالة المباني و بالتالي تراجع النشاط التجاري و العزلة باستثناء بعض الأحياء كحي ساحة الشهداء الذي يعرف بحركته التجارية المميزة التي تستقطب السكان المحليين و كذا من مختلف ربوع الوطن و حتى من خارج الجزائر.

شكل رقم 3 و 4: صور فتوغرافية لمسجد كتشاوة و سوق ساحة الشهداء



المصدر : الديوان الوطني للسياحة 2022.

سوق ساحة الشهداء الواقع بحي القصبة السفلى بالجزائر العاصمة يتميز بعراقته مما يسمح للمتسوق أن يشتري تارة و يلقي نظرة على الآثار تارة أخرى فيجمع بين التسوق والسياحة فمسجد كتشاوة التاريخي يتوسط الساحة. و نجد عدة زنقات على غرار زنقة العرايس، زنقة اللوز، زنقة الشورى،

3-مميزات الإرث العمراني للقصبة:

لقد ازدهرت الحركة العمرانية بمدينة الجزائر خصوصا في العهد التركي، فقد اهتم الجزائريون بتصاميم بيوتهم وقصورهم، والتي يطلق على الصغيرة منها دويرات وعلى الكبيرة قصورا خصوصا لتلك التي سكنها الدايات والوجهاء في الماضي، وعليه فقد اتسمت بالرقى والنقوش الجميلة والزخارف المنمقة والألوان الزاهية والأقواس والقباب المستوحاة من هندسة مساجدها إذ تقع أغلبها قريبة من دار الإمارة (ساحة الشهداء وما جاورها حاليا) أو ما يعرف بقصر الجينينة، مقر الحكم المركزي للدولة الجزائرية في العهد العثماني، قبل أن ينقل علي خوجة مقر الحكم إلى العليا (دار السلطان، ماعدا قصر الدار الحمراء الذي يقع قرب قصر رياس البحر (حصن 23) أما كل من قصر عزيزة وحسن باشا ففي

ساحة ابن باديس وغير بعيد عنه يقع قصر مصطفى باشا وفي نفس الاتجاه يقع قصر خداج العمياء والذي هو الآن متحفا وطنيا للفنون الشعبية، ضف الى ذلك قصر أحمد باشا الذي هو الآن مقرا لإدارة المسرح الوطني وكذا قصر الصوف الذي يعد اليوم مقر المدرسة الوطنية للترميم.

وكذلك تحتوي القصبية على مساجد عديدة وهي جامع كتشاوة ، جامع علي بتشين، جامع السفير، جامع السلطان ، جامع سيدي رمضان ، بالإضافة إلى مساجد صغيرة كمسجد سيدي محمد الشريف ، و سيدي عبد الله ، و سيدي بن علي بالإضافة إلى ضريحها الشهير سيدي عبد الرحمن الثعالبي الذي لا يزال يمثل مزارا كبيرا في حي القصبية(حاشي 2016) كما تعتبر الابواب من أهم المعالم التي ميزت آثار قصبية مدينة الجزائر ارتبطت بمدخلها و التي بنيت إبان العهد العثماني حيث يحمل كل باب فيها اسم وقصة خاصة بنشأتها التاريخية وهي :

• باب الوادي : سمي بهذا الاسم لكونه يطل عن واد يصب بالبحر ، حيث يفتح هذا الباب على مستوى الطريق المحاذي لجبل بوزريعة .

• باب الدزيرة : هو عبارة عن باب حديدي ضخم أطلق عليه قديما " باب الجزيرة " وهو باب يسهل دخول البحار من عرض البحر .

• باب البحر : و يسمى أيضا بالعامية " باب الديوانة " أي باب الجمارك حيث حصص للتجارة .

• باب عزون : سمي كذلك نسبة إلى أحد الثوار من أهالي منطقة " القصبية " والذي ثار ضد الحكم العثماني في السنة 1820 حاليا هو مفتوح على مختلف محلات القماش والملابس التقليدية .

• باب الجديد : و هو الباب الذي أنجز تسهيلا لسكان المناطق الغربية للعاصمة ليدخلوها دون عناء ، و هو آخر باب شيد و أول باب دخلها المستعمر الفرنسي سنة 1830 .

كما تتميز قصبية الجزائر العاصمة بتشكيلة مميزة من المنازل التي أطلق عليها اسم الدويرات بالنظر إلى صغر حجمها مقارنة مع المنازل الأخرى التي اشتهرت في القصبية وأصبحت قصورا و متاحف وتضم قصبية الجزائر العاصمة على 615 دويرة منجزة بنفس الطراز ، و فيما يلي بعض الصور التي ترسم معالم الدويرات في قصبية الجزائر المحروسة .

تحوي القصبية عدة قصور قديمة لا تزال موجودة وأصبحت تمثل إرثا حضاريا يستقطب السياح من كل مكان ، سنحاول تلخيصها في الجدول التالي :

جدول رقم 02: القصور القديمة بالقصبية

القصر	الموقع	سنة البناء
دار عزيزة	ساحة بن باديس - القصبية	خلال الفترة البربرية
دار مصطفى باشا	شارع الإخوة مشري بالقصبية	1799م
دار حسن باشا	شارع بن باديس - القصبية .	1791م
دار خداج العمياء	شارع محمد أكلي مالك	1570م
قصر الداوي	شارع محمد طالب	1591م
دار الصدقة	شارع الشيخ الصناعي	القرن 18م
حصن 23 قصر رياس البحر	نهج عمارة رشيد بالقصبية	القرن 16م
دار القاضي (مكان عقد القران)	شارع الحاج عمر القصبية	غير موجود

المصدر: الباحثة بوشامة بناء على متوغرافية بلدية القصبية 2020

يعتبر التزوج الريفي أحد العوامل الاجتماعية الذي ساهم في التدهور العمراني للقصبية لأن أغلب الوفود القادمة للمدينة وجدت بالقصبية ملاذا ملائما لها خصوصا بعد فترة الاستقلال من خلال ما توفر لهم من ضروريات العيش بأبسط

الأثمان وحرية التصرف بالمكان باعتباره (ملكا للبايلك) على حد تعبيرهم، في انتظار الحصول على مساكن فردية في ظل المشاريع السكنية المسطرة، ما جعل من القصبة حيا فوضويا أكثر منه إرثا عمرانيا. كما نلاحظ انتشارا واسعا للبيوت القصديرية بالقصبة التي تعود لأبناء الساكنين بالحي وليست نتيجة الهجرة من الريف، وهذا ما أكدته دراسة URBANIS سنة 2004 بحيث وجدنا أن غالبية الذين يقطنون في البناء الفوضوي من الجيل الثاني وأبناء العي المولودين به، إذ لا تتجاوز أعمارهم 50 سنة.

وعندما بدأت معظم الهيئات سواء العالمية أو الوطنية و المحلية التي تعنى بالتراث تدق ناقوس الخطر المحدق بالقصبة، شرعت السلطات بسن القوانين وإجراء الدراسات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المدينة على غرار المخطط الاستعجالي لإنقاذ القصبة و دويراتها من ضياع التراث المادي الذي لا يعوض.

فمنذ عام 2007 خصصت الدولة أكثر من 900 مليون دينار لتغطية المرحلة الأولى من تدابير الطوارئ (ترميم أكثر من 394 مبنى)، وفي عام 2011، أكثر من 650 مليون دينار لتغطية استمرار نفس تدابير الطوارئ (ترميم 323 مبنى آخر).

و يمكن تلخيص حالة الإطار المبني كالتالي:

فمن إجمالي 2189 بناية، بقيت 1816 بناية مشيدة أي بنسبة 83% موزعة كالتالي:

▶ 30% منها في حالة متقدمة جداً من التدهور.

▶ 50% في حالة متوسطة من التدهور.

▶ 10% في حالة خراب .

▶ 10% منها مغلقة .

تقع معظم المباني المتهالكة والأنقاض والفراغات في النسيج التقليدي وتقع البقية في منطقة النسيج المختلط أو في النسيج الفرنسي وفي المنطقة المحيطة بالقرب من خطوط السكك الحديدية.

الشكل رقم 5 : حالة البناءات ببلدية القصبة



4-الخصائص الوظيفية لشوارع قصبة الجزائر:

رغم قدم أزقة القصبة و تصدع بناياتها إلا أنها لازالت محافظة على البعض من تراثها الجزائري وخصوصيته التي تميزه عن باقي المدن ، خاصة بعض الحرف اليدوية التقليدية التي تبقى شمعة تضيء أطلال المدينة من خلال المحلات القليلة المفتوحة من نماذج متنوعة للصناعة التقليدية التي تعكس المخزون الثقافي الجزائري الثري خاص كالنحت على الخشب و صناعة الحلي و الجلود و السيراميك و الرسم على الزجاج و النحاس وغيره(براس 2020)
-صناعة النحاس :

تراجع اهتمام الناس بالأواني النحاسية كما تراجع اليوم عدد حرفيي النحاس حيث لا يتجاوزون اثنين أو ثلاثة ، و هي على وشك الزوال النهائي إذ أن أغلبهم توفي أو توقف عن الممارسة بسبب غياب الدعم الحكومي حسب شهادة أحد الحرفيين.

-صناعة الجلود :

لم يبق سوى أعداد قليلة من الحرفيين و أغلبهم من كبار السن ويعود هذا إلى عدم توفر المادة الخام ، وأن أنواع الجلود المنتشرة ذات نوعية ليست بالجيده ، بالإضافة إلى عزوف الشباب عن ممارسة هذه المهنة لأنها مهنة تتطلب الصبر و التركيز والدقة وشباب اليوم يحبذون اختيار مهن سهلة ومريحة(بودهان 2021)
1-4-من زنقات تاريخية إلى شوارع ومسالك سياحية:

بنيت القصبة على طراز تركي عثماني يشبه المتاهة في تداخل أزقتها بحيث لا يستطيع الغريب الخروج منها لوحده، لوجود أزقة كثيرة مقطوعة تنتهي بأبواب المنازل، وتحوي القصبة على عدة أزقة أهمها "زنيقة العرايس" و"زنيقة مراد نزييم بك" وفيها عدة عيون مشهورة كالعين المألحة في باب جديد وبئر جباح في قلب القصبة وزوج عيون في أسفلها، و قد تم هدم جزء منها بعد الاحتلال الفرنسي عام 1830.

و في إطار إعادة الاعتبار الوظيفي لهذه التحفة العمرانية التي تعبر عن أصالة تراثنا و هويتنا، يمكننا أن نجعل من هذه الزنقات و من الشوارع الكبرى المحيطة بالمدينة مسالك سياحية، حيث يُعرّف المسلك السياحي " بأنه طريق أو مسار أو حتى دارة أرضية محددة والتي تسمح على محيط جغرافي متغير باكتشاف وتقدير الجمال الطبيعي، المنتجات، التاريخ، ثقافة أو أسلوب حياة أو فولكلور المواقع والأماكن التي تمت زيارتها أو تجاوزها. (الجلاد 1992) وهناك أيضا مجموعة متنوعة من الخدمات التكميلية، مثل الإقامة والمطاعم ومحطات الوقود والمعلومات السياحية وخدمات الاستقبال. خلال تطوير المسلك السياحي، من الضروري أن نضع في اعتبارنا الصفات الجوهرية المتأصلة في مثل هذا الطريق.

المسالك السياحية بالقصبة هي مجموعة من الانهجة و الشوارع تضم الخواص التالية:

أ- أثرية و تاريخية:

- نهج محمد طالب الذي يضم على أطرافه ، قصر الداوي، باب جديد، مسجد الداخلامي و مسجد البراني، حصن القصبة
- دربوز لوني أرزقي به حصن القصبة

- نهج أول نوفمبر المؤدي للجامع الكبير و باب البحر.

- نهج عمارة محمد رشيد مكان تواجد قصر الرياس و المؤدي لباب الجزيرة.

ب- بانورامية:

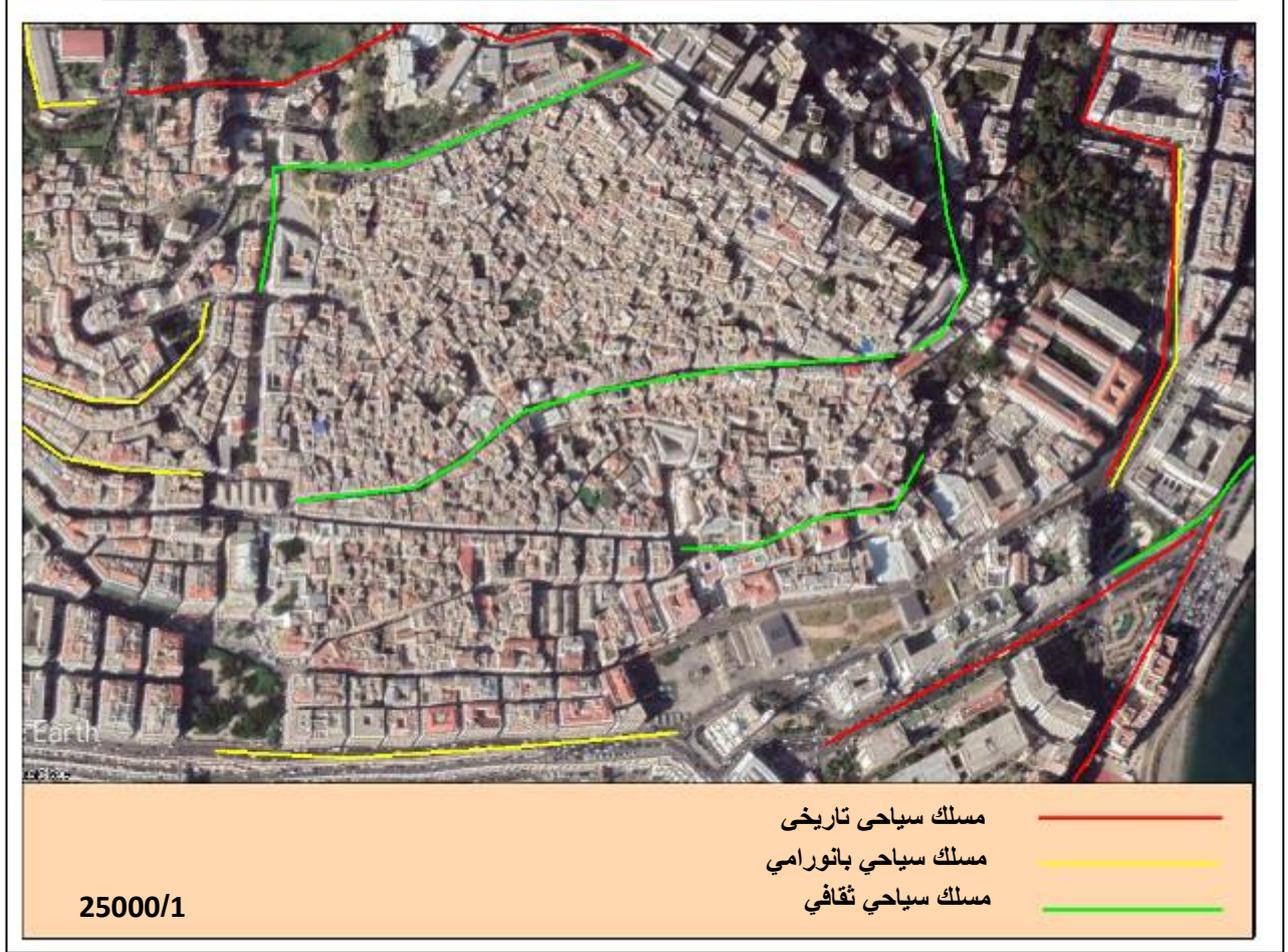
- شارع دبيح شريف يطل على جنينة سوسطارة

- نهج زيغوت يوسف يطل على ساحة بور سعيد و الميناء.

- نهج بن قانة بوعلام يطل على مبنى وزارة الدفاع.

- دربوز لوني أرزقي مطل على خليج الجزائر و كذا حديقة براغ.

شكل 06 : المسالك السياحية ببلدية القصبة



المصدر: الباحثة بوشامة+تطبيق Map info 10.5

ج- ثقافية:

- نهج محمد طالب يتواجد به متحف.
- نهج أول نوفمبر المؤدي لمتحف ساحة الشهداء ، القاعدة البحرية و كذا جنيبة العواد(حديقة الاحصنة).
- نهج الحاج عمر المتواجد به المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية و كذا المتحف الوطني للزخرفة و المنمنمات و الخط العربي.
- شارع عمار علي الذي يغوص في أعماق القصبة و من خلاله يمكننا الولوج لسوق جامع لهود، عدة مطاعم للاكلات الشعبية و كذا حمامات.
- شارع سيدي عبد الرحمان مسلك مؤدي لضريح عبد الرحمان الثعالبي ، مقام سيدي هلال و ثانوية الأمير عبد القادر.

شكل 07-08-09-10 : صور فوتوغرافية للمسالك السياحية ببلدية القصبة.



شارع زيغوت يوسف



شارع عمار علي



دريوز لوني ارزقي



نهج أول نوفمبر

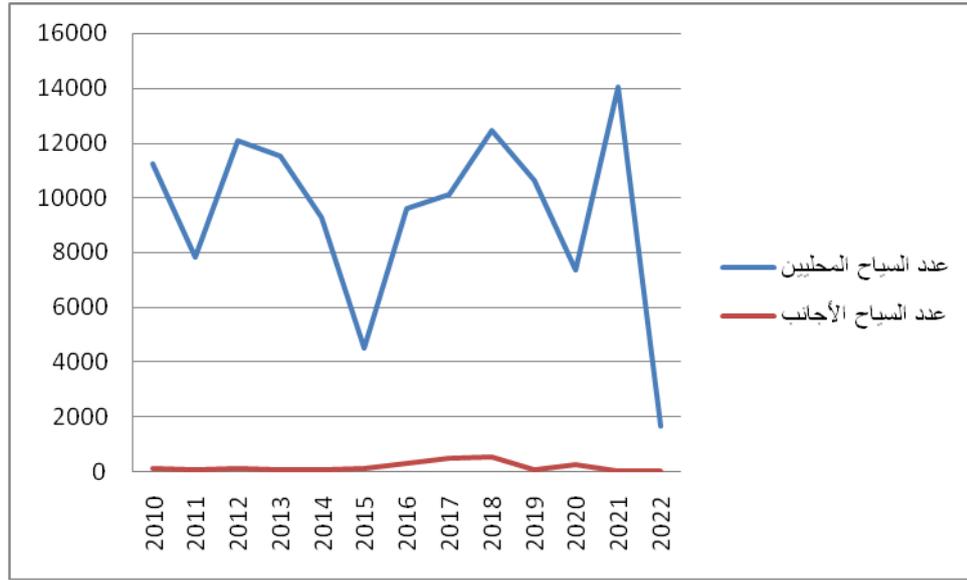
المصدر : مديرية السياحة لولاية الجزائر 2022.

جدول رقم 03: عدد السياح الجزائريين و الأجانب الوافدين إلى مدينة القصبة من سنة 2010 إلى سنة 2022:

السنوات	عدد السياح المحليين	عدد السياح الأجانب
2010	11253	86
2011	7816	45
2012	12100	120
2013	11520	74
2014	9285	60
2015	4503	110
2016	9626	301
2017	10112	465
2018	12450	516
2019	10612	43
2020	7334	238
2021	14053	15
2022	1641	28

المرجع : استطلاع ميداني للباحثة مع مختلف المصالح والهيئات

شكل رقم 11: تطور عدد السياح في الفترة 2010-2022



المراجع: الباحثة بوشامة 2024

يتضح من خلال الجدول و الشكل أعلاه أن :

عدد السياح شهد تراجعاً خلال سنتي 2014 و 2015 وهذا يرجع إلى الحالة المزرية التي آلت إليها مباني القصبة حيث أن 500 منزل كان مهدداً بالانهيار خلال هذه الفترة ليرجع العدد بعد هذه الفترة إلى التزايد شيئاً فشيئاً وذلك بسبب عمليات الترميم التي مست القصبة بالإضافة إلى عمليات الترويج و التعريف بالقصبة و تاريخها العريق و استمر هذا التطور حتى شهر مارس 2020 ليتراجع العدد بعدها إلى الصفر سائح خلال نفس السنة بسبب جائحة كورونا التي فرضت الحجر الصحي و غلق الحدود ليرتفع العدد مجدداً خلال سنة 2021 بسبب تخفيف الإجراءات وكذا فتح الحدود ولازال عدد السياح في تطور حتى يومنا هذا حيث أن العدد بلغ حوالي 1667 سائح سواء من داخل أو خارج الوطن خلال شهري جانفي و فيفري من سنة 2022 و هذا حسب مديرية السياحة لولاية الجزائر

4-2-عوائق الدمج الوظيفي لقصبة الجزائر:

– حالة البنايات :

تضم مدينة القصبة مئات المنازل و القصور و المساجد التي باتت تصارع من أجل البقاء ، فجدرانها و أبنيتها بدأت تتآكل و ينهار أجزاء منها في ظل محاولات حكومية حديثة لإعادة بريقها لتتصدر واجهة المعالم السياحية في البلاد(الدباغ 2008) ، حيث يعود تهميش هذا المعلم الأثري حسب مختصين إلى بداية الاستعمار الفرنسي للبلاد عام 1830 ليتواصل الإهمال إلى مرحلة ما بعد الاستقلال سنة 1962 .

- سوء الخدمات :

بحيث أن الزائر لمدينة القصبة و خاصة من خارج العاصمة أو السواح الأجانب يجدون صعوبة نوعاً ما من حيث نقص المرافق الضرورية لخدمة حاجياتهم و خاصة الفنادق حيث يضطر السائح للمبيت في فنادق خارج مدينة القصبة و التي تكون نوعاً ما بعيدة عن القصبة و بالتالي صعوبة التنقل كما أن المتوفر من الفنادق القريبة قد لا تلبي كامل احتياجات السائح بسبب سوء خدماتها .

– ضعف الأمن :

إن طبيعة أزقة مدينة القصبة الضيقة و المتداخلة التي تكاد تخلو من المارة ويسودها صمت رهيب جعلت منها وجهة للمتحررين الذين استغلوا هذا الوضع و حولوا الأزقة العتيقة إلى أوكار للفساد و السرقة وهو ما جعلها غير آمنة في معظم أحيائها.

– سوء في تسيير النفايات:

خصوصية المكان القائمة على ضيق الأزقة و الساحات و المعابر ، جعلت من دخول شاحنات النظافة كما هو معمول به في معظم المدن الجزائرية الأخرى ، أمرا صعبا في بعض مفاصله و مستحيلا في مفاصل أخرى ، و هو ما دفع السلطات المحلية إلى الاستعانة بالحمير في نقل النفايات ، كما أن عمال النظافة انتقائيون في حمل النفايات فهم لا يحملون إلا الخفيف منها ، و يتركون الهامدة مثل الحديد و الخشب و الزجاج ، مما خلق ركاما منها أضيف إلى جملة الأشياء التي تشوه القصبة (بوكة 2022)

- اندثار الصناعات التقليدية :

إن الزائر للقصبة العتيقة يجد أن أغلب من تبقى من الحرفيين يتمركزون في القصبة العليا و أعدادهم لا تتجاوز العشرة ، بين نجارين و نحاسيين و تشكيليين و مختصين في السيراميك بينما كانوا في الماضي بأعداد كبيرة ، و بالتالي فإن هذه المهنة تسيير نحو الاندثار الكلي ، بالنظر إلى التدهور العمراني الكبير الذي تعرفه المدينة القديمة و عزوف الشباب عن ممارسة هذه الحرف لغياب الإمكانيات و الدعم الحكومي ، الأمر الذي تسبب أيضا في زوال الكثير من العادات و التقاليد المرتبطة بهذه المهنة (بودهان 2022)

- عمليات الترحيل و تراجع عدد السكان:

حيث شهدت القصبة مؤخرا تراجعا كبيرا في عدد السكان بسبب عمليات الترحيل المستعجلة بسبب الحالة المزرية للمباني سواء الدويرات أو العمارات الكولونالية تفاديا لانهيارات محتملة لاحقا ، حيث تم إخلاء العديد من العمارات المصنفة ضمن الخانة الحمراء في كل من باب الجديد بالقصبة العليا و شارع حسين بورحلة و إبراهيم حجوط بالقصبة السفلى و غيرها .

– إهمال السلطات لأهمية المدن التاريخية في السياحة، فالواقف على حال القصبة اليوم يدرك جيدا ذلك رغم أنها صنفت ضمن التراث العالمي من طرف اليونسكو في سنة 1992 ، و رغم ذلك فهي الآن تصارع قهر الزمان وما تزال تتخبط في معاناتها لوحدها ، فلا وزارة الثقافة رمتها و لا ولاية الجزائر باشرت في ذلك .

5-مدينة تونس العتيقة:

تمثل مدينة تونس العتيقة 6% من مساحة التجمع الحضري لمدينة تونس و تساهم بـ 10% من مجموع سكانه. وتمتد هذه المساحة على 270 هكتارا يحتضن حوالي 100 ألف ساكن وحوالي 15 ألف مسكن. وتضم المدينة العتيقة ربيضين الأول شمالي يتمثل في باب سويقة والثاني جنوبي يمثله ربيض باب الجديد ويمتدان على مساحة 29 هكتارا واحتكرت المدينة كل الوظائف الاقتصادية إلى حدود انتصاب الحماية سنة 1881 والتي قامت بإنشاء المدينة الأوروبية شرقا وتحولت معها مركزية المدينة إلى المدينة البديلة شكلا ومحتوى ومعمارا، فمنذ الستينات تقريبا أصبح الحيز التاريخي مجالا مفقرا ومريفا وهامشيا وتغير تغيرا رديكاليا في وقت وجيز (Beji 2022). ومع أواخر الثمانينات وبداية التسعينات بدأت الجهود الوطنية والدولية تتظافر من أجل الحفاظ على الأنسجة التاريخية واعتبارها إرثا إنسانيا مشتركا. وفي ظل انفتاح الدولة التونسية على هذه الجهود والعمل على تشبيك العلاقات مع المنظمات والهيئات المهتمة بالمسألة التراثية. ومن هنا تم تصنيف مدينة تونس العتيقة كتراث عالمي سنة 1979 بناء على جملة من الخصوصيات (Unesco 2020) التي تتفرد بها كمنطها الحضري المتميز بالتراص وضيق المجال العام والمعمار العربي الإسلامي الذي لم يتغير منذ

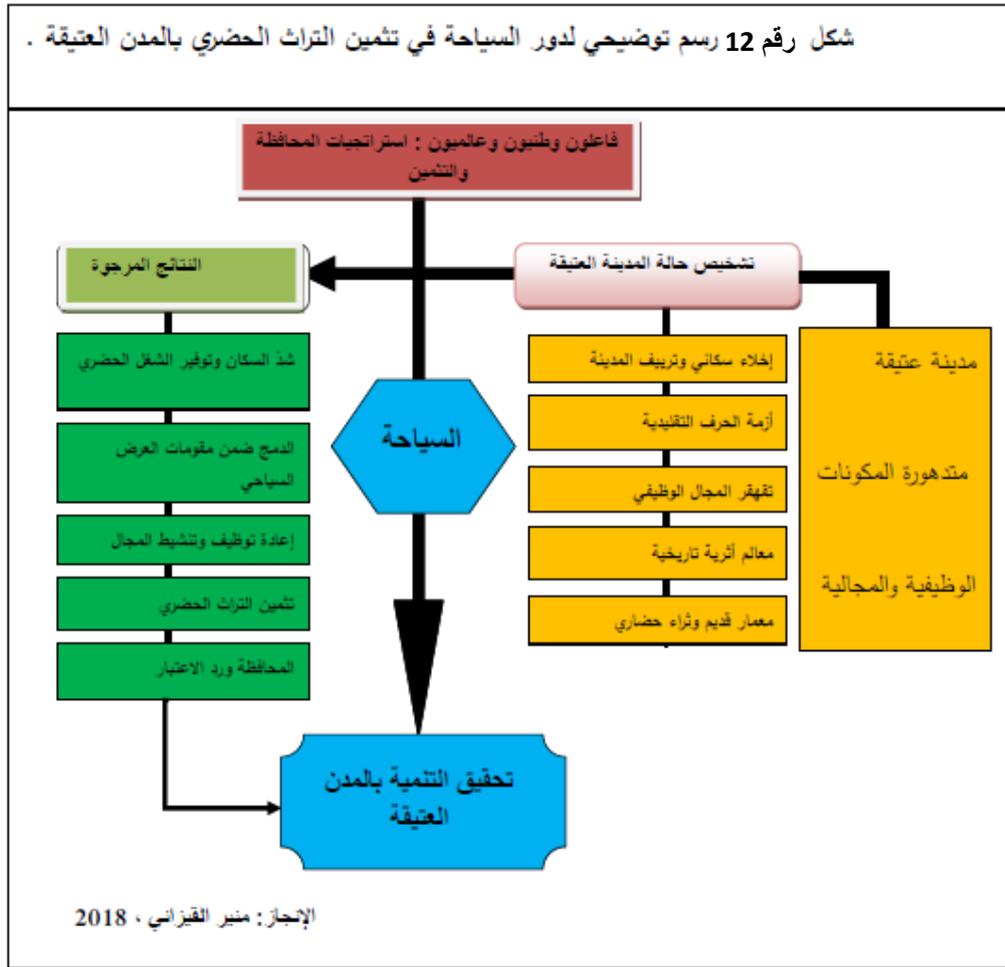
نهاية القرن الثامن عشر، و ثراء المعالم التاريخية فهي تضم 670 معلما (أضرحة، زوايا، مدارس قرآنية وصوفية، مساجد، قصور..)(Tunis 2022).

6-التراث الحضري والعمراني بمدينة تونس العتيقة: الأداء والأدوار الوظيفية

نحاول في هذا القسم تحديد الأداء الوظيفي للمدينة العتيقة في ظل ظهور مراكز اقتصادية مركزية و طرفية (في الضواحي القريبة والبعيدة) تنافس القلب القديم وتجذب الأنشطة والاستثمارات وأدفاق الاستهلاك. ونهدف إلى تكميم مساهمته في الاقتصاد الحضري وتحديد دوره التنموي.

6-1 المدينة العتيقة: مركز سياحي وثقافي

إن وجهة المستهلك السياحي عند زيارته للمراكز والمحطات السياحية تقوم أساسا على اكتشاف المجال وخصوصياته الثقافية والحضارية وعن مكامن الاشعاع والتميز الذي يعبر عنها الإرث التاريخي المتبقي بالإضافة إلى الرغبة في الترفيه.

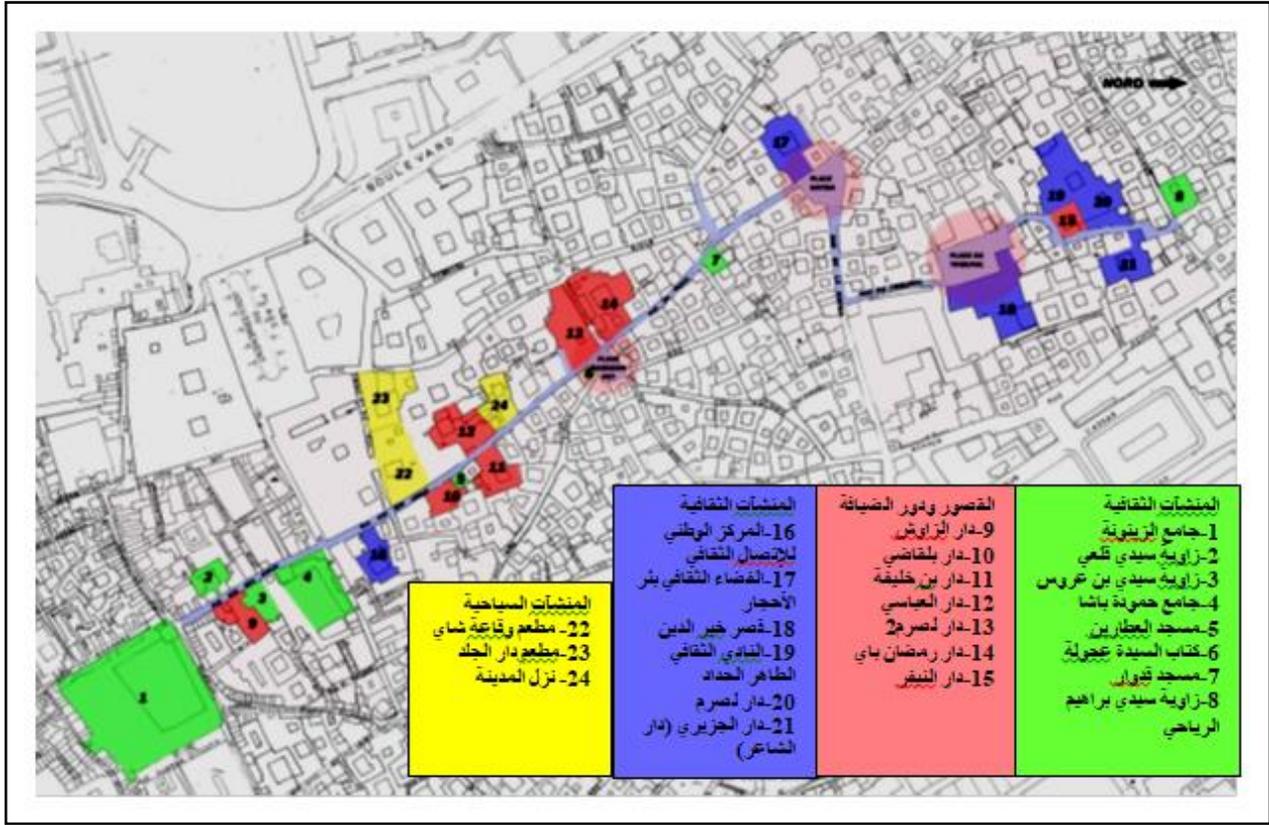


وتتنازل مدينة تونس العتيقة كمدينة كانت عاصمة لعدة دول انطلاقا من بني خرسان (1059-1158) وصولا للحسينيين (1705-1957) ويعود تاريخ نشأتها إلى 699 ميلاديا على يد حسان بن النعمان (المعهد الوطني للتراث، 2020). اعتمدت الدولة التونسية سياسة تقوم على تثمين التراث التاريخي والمحافظة عليه عبر دمجها في السياقات التنموية والاقتصادية للدولة. وتقوم هذه السياسة على دمج المنتج التراثي (مادي واللامادي) في التسويق السياحي لإرثها التاريخي. كما يبين تتبع سياسة الدولة في تثمين التراث على أن عملية الأخذ بالسياحة (trabelssi 2019) كآلية للتثمين

أتت متأخرة ولو نسبيا بجل المدن العتيقة التونسية. فلم تتخذ القرارات العاجلة في الحفظ واعادة الاعتبار للمدن العتيقة إلا بعد ترهل نسيجها وتفشي ظواهر اجتماعية كالوكللة (Rehabimed 2011) والترتف ، أو ظواهر اقتصادية كالحلاء الاقتصادي وضعف التنافسية وأزمة طرق الانتاج التقليدية. لذلك يمكن القول أن التوظيف السياحي وتثمين المعطى التاريخي والثقافي أتى بعد تعمق أزمة المدينة العربية الاسلامية.

فقد تم منذ الثمانينات تحديد جملة من المعالم والشواهد وترميمها وتجديدها.. ودمجها ضمن المسلك السياحي للمدينة العتيقة بتونس الذي تتكثف على محاوره أهم المنشآت الثقافية والسياحية مثل نهج دار سيدي بن عروس ونهج الباشا ونهج القصبية ونهج جامع الزيتونة.... وقد سجل معهد التراث 88 معلما تاريخيا وطنيا محميا، منهم 8 معالم مصنفة و14 طريقا (منهم 3 أسواق) كتراث محمي وفق القانون 35 من مجلة التراث التي سنت سنة 1994 (التونسية 1994)

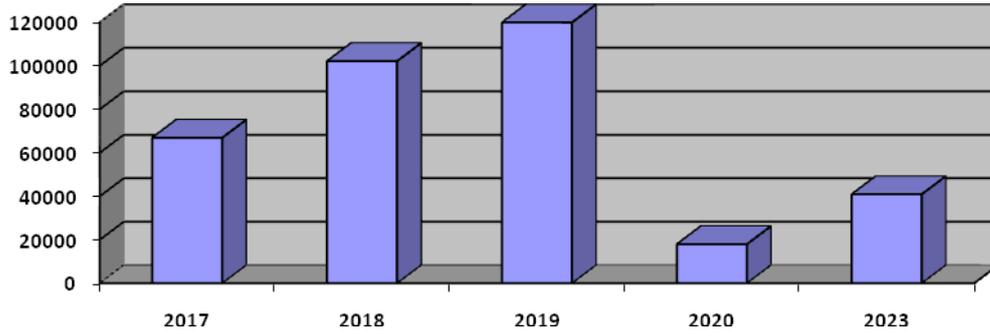
شكل رقم13 : تركز الأنشطة المعالم الثقافية والسياحية بنهج سيدي بن عروس بالمدينة العتيقة.



المصدر: (ASM de Tunis, 2022)

لا يمكن حصر أعداد الوفود السياحية التي زارت معالم مدينة تونس العتيقة، أولا لأن جملها الدخول إليها مجانيًا، لذلك قمنا باعتماد المؤشرات سنة 2023 والتي سجلها متحف باردو الذي لا يبعد سوى 20 دقيقة باستعمال السيارة عن أبواب المدينة وبينت الاحصائيات أن 40 ألف سائح زروا المتحف . فرغم التراجع الذي يعود للحدث الإرهابي الذي جد داخله مما أدى إلى غلقه عدة أشهر فإن هذا المتحف الذي يضم أكبر وأندر قطع الفسيفساء في العالم مازال يعرف بالمخزون التاريخي للبلاد. ونبرر اعتمادنا لهذه الاحصائيات لأن أغلب الزيارات السياحية المبرمجة تضم في الغالب متحف باردو والمدينة العتيقة.

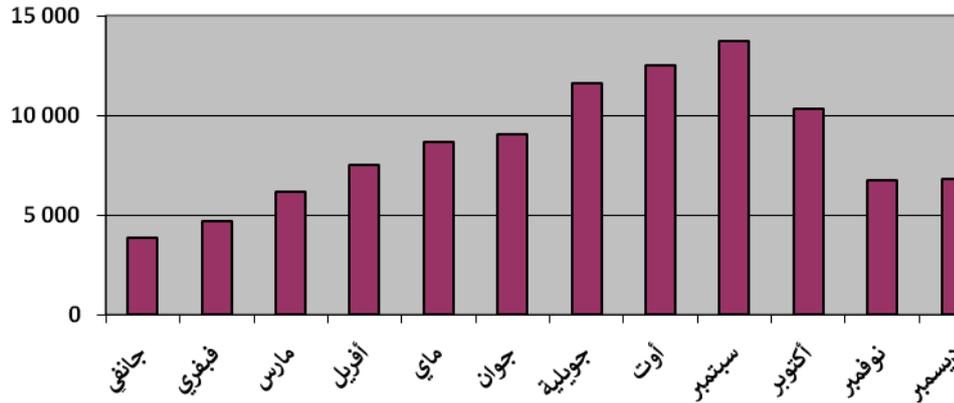
شكل رقم 14 : تطور عدد زوار متحف باردو بين سنتي 2017 و2023



المصدر: وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية.

ويبين الرسم البياني ارتفاع تواتر زوار المدينة خلال فصل الصيف وهو ما يتطابق مع ذروة النشاط السياحي. ويجذب كل من جامع الزيتونة ودار لصرم ودار الحداد ... وغيرها من المعالم وفود سياحية متعددة المصادر المجالية. كما توجه الوحدات الاقتصادية المنتصبة بالمدينة 9.3% من نشاطها إلى المستهلكين الأجانب (قيزاني، 2020).

شكل رقم 15: حجم الوفود السياحية التي زارت متحف باردو حسب الأشهر

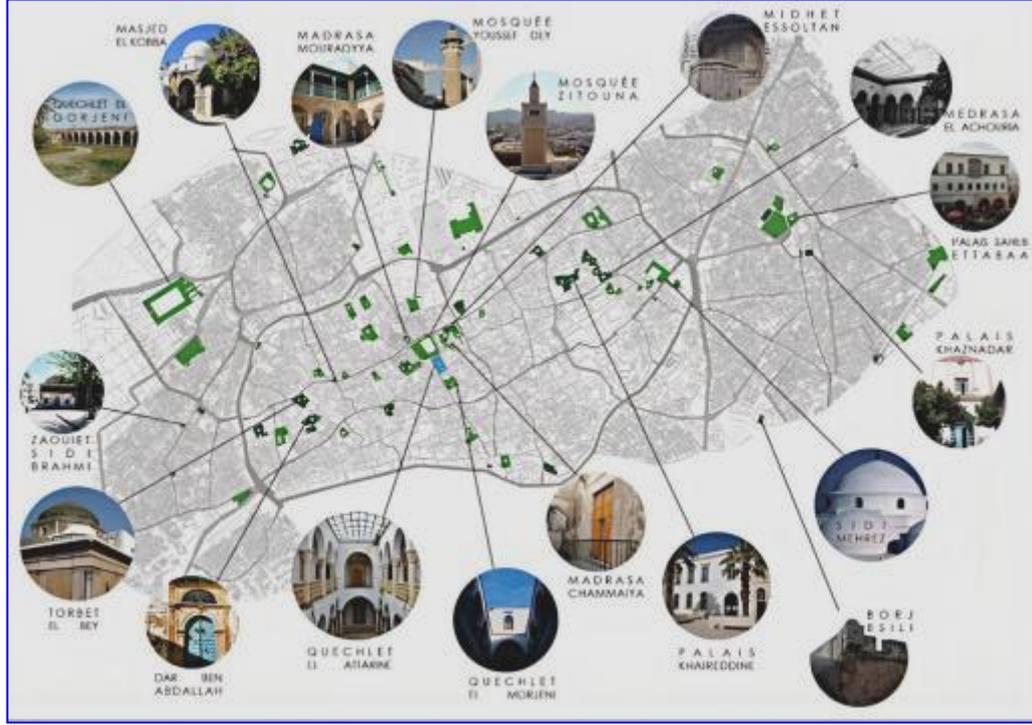


المصدر: وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية

ثقافيا، تعبر مدينة تونس العتيقة على الثقافة العربية الإسلامية من خلال النمط المعماري والسلوكيات الاجتماعية المحافظة والتشبث بالدين الإسلامي من خلال رمزية جامع الزيتونة الذي يجذب عديد السياح المسلمين لزيارته، فالمدينة تستمد خصوصيتها من خلال قدرتها على التكيف لمدة قرون ضمن محيطها الطبيعي والثقافي (chaline 1997).

كما تضم المدينة عدة دور ضيافة (دار باش حامي، دار الجلد...) ومعالم ومتاحف وزوايا... تعبر عن ثقافات وأفكار متنوعة كالحركة الصوفية وطرقها. وتشهد المدينة توترا لإنشاء وإعادة توظيف عدة معالم واسنادها وظيفة ثقافية مثل مكتبة دار بن عاشور والمركز الثقافي بئر الأحجار وقاعة يعي لعرض الفنون.

شكل رقم 16 : أهم المعالم التاريخية بمدينة تونس العتيقة وأرباضها.



المصدر: <https://whc.unesco.org/fr/atlas-patrimoine-urbain/tunis/>

وتحتضن المدينة أنشطة التعليم الثقافي (نوادي أطفال وشباب للمسرح والفنون) ومشاريع للفاعلين في الميدان الثقافي والفني (تمويل، دعم لوجستي ..) وأخيرا الحفاظ على التراث المادي واللامادي والحرص على دمج المسألة الفنية والثقافية في عمليات التأهيل والتجديد بالمدينة (2016 tunisie).

كما تستهوي معالم المدينة عدد هام من الزوار خاصة في المناسبات الدينية والروحانية (شهر رمضان، فعاليات الصوفية...) فقد استقبل جامع الزيتونة لوحده ما يقارب 20 ألف زائر تونسي وأجنبي سنة 2016 حسب وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية التونسية. كما يسهم حوالي 36 مهرجانا يرمج داخل مدينة تونس في تنشيط الحركة الاقتصادية وتوجه أذواق استهلاك إقليمية (إقليم تونس) وعالمية (سياح) وغيرهم من المصادر الجغرافية نحو المدينة التي تضم مهرجانات لها اشعاع متنامي كمهرجان المدينة أو أيام قرطاج السينمائية والمسرحية وغيرها... والتي تستفيد المدينة العتيقة بطريقة مباشرة من المشاركين ضمن فعالياتها.

2-6- المدينة العتيقة: مركز تجاري جاذب للممارسات الاستهلاكية

تجذب المدينة عديد الزوار والممارسات وتتضمن استعمالات واستغلالا لمجالها عبر "من يسكن ولن يشتعل ولن يتجول فيها" (trabelssi 2019). لذلك تستقطب المكونات العمرانية والتراثية لمدينة تونس أذواق يومية من حركة الأشخاص والبضائع والأموال... وهو ما يسهم في دينامية وتنمية المركز التاريخي.
-أسواق وأنهج تاريخية متخصصة :

تعتبر أسواق المدن العربية الإسلامية مكونا تراثيا وهندسيا موروثا يعبر عن هوية المدينة العربية وخصوصيتها، فهي مجال عام تتكثف فيه المبادلات والممارسات الاجتماعية. وتمارس الأسواق قدرتها على الجذب والاستقطاب من خلال توفيرها سلع وخدمات متنوعة وتخصصها بالإنتاج الحرفي المميز بمجالها (المعادن، القماش، الخشب، الجلد...). وتضم المدينة شبكة كبيرة من الأسواق التي يهيكلها المسجد الجامع (جامع الزيتونة) ويقدر عددها بـ25 سوقا مغطاة منها 16

سوقا تحيط بجامع الزيتونة وهي فئات نشاط راقية (القطارين- البركة- القماش...) تحتوي على عدد هائل من الدكاكين المتخصصة، وتقدر الاحصائيات المتوفرة أن أسواق المدينة زارها 6 مليون زائر سنة 2010 (MEDIEN 2023) .
جدول رقم 4 : خصائص بعض الأسواق التجارية المتخصصة بمدينة تونس العتيقة

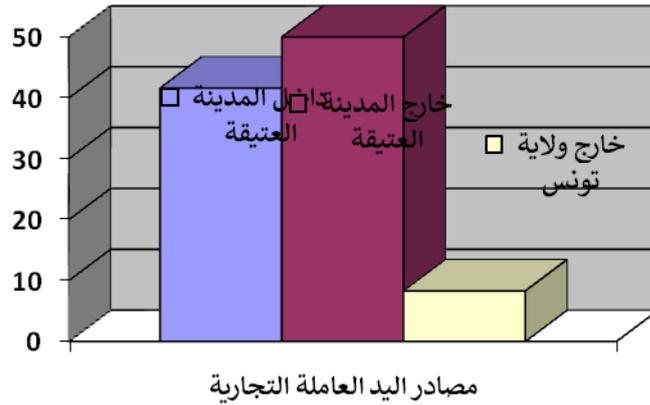
النشاط المهيمن	النسبة من إجمالي الأنشطة الاقتصادية%	عدد المحلات	
تجارة الملابس- تجارة القماش	5.1	144	سوق الغرانة
حرف الذهب- تجارة الذهب	2.1	60	سوق اللفة
تجارة التوابل والأعشاب "الطبية"	1.8	52	سوق البلاط
تجارة لوازم الأفراح- تجارة النحاس	1.4	41	سوق النحاس
تجارة الملابس الجاهزة والأحذية بالجملة	0.9	26	سوق الوزر
حرف الذهب	0.8	24	سوق الصوف

المصدر: (قيزاني، 2020)

7- المركز التاريخي: حوض تشغيل وفضاء للمبادرة

وتعتبر المدينة حوضا تشغيليا هاما فهي توفر حوالي 7000 موطن شغل سنة 2018 أي ما يمثل حوالي 45% من إجمالي عدد المشتغلين بالمدن العتيقة الأربعة الكبرى بالبلاد التونسية (تونس، سوسة، صفاقس، القيروان) وتجذب الأنشطة التجارية 47.37% من مجموع المشتغلين بالمدينة العتيقة. وتساهم هذه الأخيرة بجذب أعداد هامة من أدفاق الاستهلاك وأدفاق اليد العاملة من المجال المجاورات القريبة والبعيدة للمدينة أي من ضواحي مدينة تونس أو أرباضها، فتتنقل أعداد هامة من المشتغلين والمستهلكين والمبادرين الخواص الذين يقدر عددهم بحوالي 2050 مبادر يتوجهون يوميا في اتجاه قلب مركز مدينة تونس للعمل أو طلب خدمات تجارية وغير تجارية أو للتسوق وإكتشاف الخصوصيات المعمارية والتراثية للمدينة العتيقة وهو ما يخلق دينامية متواصلة في النسيج التاريخي.

شكل رقم 17: رسم بياني مصادر اليد العاملة الوافدة على مدينة تونس العتيقة.



المصدر: (قيزاني، 2020)

وتجذب الحركة الاقتصادية والسياحية للمدينة أنشطة أخرى لها علاقة بالوفود السياحية الوافدة كالمهن الحرة (أنشطة المطاعم والمقاهي، وكالات الأسفار...) أو الأنشطة الحرفية التي يقدر عدد المبادرين ضمنها 340 مبادرا سنة 2018 (قيزاني 2020)

7-1- المدينة العتيقة بتونس مجال لجذب كل الطبقات الاستهلاكية

الطبقة الراقية: هي الطبقة التي تتميز بوضع اقتصادي واجتماعي وعائلي واطار ثقافي جيد تختلف من خلاله على بقية الطبقات وترتبط عاداتها الاستهلاكية بمدخلها المالية الكبيرة مقارنة ببقية الطبقات وهو ما يؤهلها إلى تبني ممارسات مجالية وذهنيات تتماشى وأوضاعها المذكورة سابقا وتتكون هذه الطبقة أساسا من:

أولا، وحسب الفئات المهنية الاجتماعية تنصدر فئة الاطارات والمهمن الفكرية العليا أهم مكونات هذه الطبقة وهي فئات تتمتع بمدخل مالي هامة نتيجة لممارستها لمهن راقية وتتوفر على دخل يؤهلها إلى شراء منتجات تجارية وطلب خدمات ذات قيم مضافة عالية تتماشى ومستوى رغباتها ونمط عيشها.

ثانيا، يُمكن أن نضيف إلى هذه الطبقة الوفود السياحية المتواترة على المدن العتيقة داخليا وخارجيا والمستهلكة للمنتجات الخدمية والحرفية والتي تقدم لأصحاب المنشآت مرابيح هامة خاصة خلال فصل الصيف المتزامن مع ذروة الطلب والترويج السياحي.

الطبقة المتوسطة: تتوجه هذه الطبقة إلى شراء منتجات ذات قيمة مضافة أو ضعيفة غالبا ما تكون مهربة وأقل كلفة من السلع المسجلة تجاريا وهو ما يمكنها من الضغط على حجم نفقاتها، فالمدينة العتيقة توفر وبنسبة هامة منتجات موجهة للطبقات الوسطى.

الطبقة الضعيفة: هي طبقة تتضمن فئات محدودي الدخل أي أقل من الأجر الأدنى المضمون ولا تتمتع غالبا بأية امتيازات أو ضمانات اجتماعية وتتوجه للمدن العتيقة من أجل التسوق أو الشغل الهش وبالتالي

فتردها عامل محفز وهو الحاجة إلى المدينة باعتبارها مجالا اقتصاديا يوفر خدمات تجارية وخدمية

لفئات " هشة " ترى في النسيج العتيق مركزا خدميا يوفر بضائع وخدمات عادية بأسعار تتماشى والقدرات المالية المتاحة بالنسبة لهذه الطبقة. إن السلوكيات الاستهلاكية المتوخاة من قبل هذه الطبقة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقطاع الموازي التي ترى فيه قطاعا يضمن تزويدها بسلع ضعيفة الكلفة رغم تدني جودتها ويحميها من إرتفاع سعر المنتج المستهلك المروج وفق مسالك منظمة ومصريح تجاريا بجودته.

8-آليات تنمية التراث

لحفظ التراث المادي قامت الدولة التونسية بالشراكة مع عدة فاعلين منذ الاستقلال بجملة من التمشيات والاستراتيجيات لرد الاعتبار للتراث الحضري قصد تنمية ودمج هذا الحيز المجالي ضمن الدينامية الاقتصادية والتنموية للبلاد وذلك عبر تبني جملة من الآليات.

8-1-برامج التهيئة والتجديد

تم إنشاء جمعية صيانة المدينة سنة 1967 من قبل مبادرة من بلدية تونس لخلق هيكل يهتم بالإشكاليات المدينة العتيقة والتفكير فيها. وتضم الجمعية مكتبا للهندسة المعمارية يعمل على: الحرص على تهذيب صورة المدينة العتيقة وتفعيل دور المدينة في التجمع الحضري لتونس الكبرى. وعلى ضوء هذا الدور قامت الجمعية بعدد الدراسات الحضرية والمعمارية والاقتصادية والاجتماعية والتي كان الهدف منها إحياء والمحافظة على الخصوصيات العمرانية والتاريخية للمدينة. وبالتالي فإن الدعوة التي تم تطويرها هي التنفيذ استراتيجية حماية مستدامة تجمع بين بعدين مختلفين، ثقافي واجتماعي، وقد عكست المشاريع التي تم تنفيذها منذ ذلك الحين هذه الرغبة في القيام بحماية هذا التراث باعتباره تراثاً ضخماً ذا قيمة ثقافية، والحفاظ عليه. التراث كتراث عقاري واجتماعي (15.000 وحدة سكنية) يؤدي دوراً هاماً على المستويين الاجتماعي والاقتصادي (Tunis 2022). وقد تمت عملية التعمد بالمحافظة والحماية على أساس محاور:

- حماية المعالم التاريخية: بدأت الجمعية أولا بالاهتمام بالمعالم الدينية (المساجد والزوايا) ثم بالمدارس القرآنية المهتدة بالسقوط والتداعي وإعادة احياء وتهيتها وتجديد هذه المعالم عبر إعادة توظيفها لتصبح مقرات للجمعيات الثقافية أو مراكز للتكوين والتشغيل... ومن بين هذه الأمثلة نذكر المدرسة الشماعية التي تم إعادة توظيفها لتصبح مركزا للتكوين الحرفي، أو قصر خير الدين الذي أصبح قاعة عرض بمواصفات عالمية.
شكل رقم 18: صور عملية ترميم وتجديد الواجهات



المصدر: (ASM de Tunis، 2022).

- حماية التراث العقاري والاجتماعي: وقد تم ذلك في اطار مثال التهيئة العمرانية لبلدية تونس (PACT)، ويهدف هذا المخطط تنمية الاطار الاقتصادي والاجتماعي للمدينة العتيقة والمحافظة على سكانها وخلق محيط مجهز ولائق يضمن أساسيات العيش.
وقد تم انجاز مشروع "الحفصية" بتمويل من البنك الدولي في اطار البرنامج الحضري الثالث والذي قام بتأهيل وتهذيب 13 هكتارا من مساحة المدينة (تجديد 250 منزلا، تجديد الطرقات، النسيج العمراني، انشاء تجهيزات...).
ومشروع القصبه الذي مكن من توفير مأوى أرضي لـ 1200 سيارة للتقليص من إشكاليات النفاذية والاختناق المروري للمدينة العتيقة ومجاوراتها.



- تهذيب وتهيئة جزء هام من المدينة: وذلك في إطار مشروع الوكائل الممول من قبل الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (FADES) والذي قام بتأهيل ظروف عيش 3000 أسرة. وأخيرا مشروع تجميل قلب مدينة تونس الذي شمل المدينة العتيقة والمركز الأوروبي باعتبارهما من الإرث المعماري والتاريخي للبلاد التونسية. وفي العشرية الفارطة تم التخطيط لإنجاز مشروعين ضخمين. الأول يهدف إلى تهذيب جامع الزيتونة ومحيطه أما الثاني فيهتم بتأهيل وتحسين جمالية المدينة عبر مسالكها الحضرية. وتعمل سياسة التثمين ورد الاعتبار للتراث الحضري إلى القيام بعدة عمليات فنية وهندسية ومنها الاهتمام بجمالية الواجهات والعمل على الرفع من التنمية الثقافية والسياحية والاقتصادية للمدينة وتخفيض إشكاليات المرور والتوقف).

9- تحليل ومقارنة بين المدينتين تونس العتيقة وقصبة الجزائر:

ما يمكننا قوله حول قصبة الجزائر هو أنها تمتلك مخزونا تاريخيا و أثريا غنيا و متنوعا غير أن الاستغلال الأمثل و التوظيف الفعلي لهذا المخزون لم يتم وفق ما يواكب المتطلبات الحديثة نظرا لما آلت إليه معالمها و وظائفها. وبالتالي فإن الاستفادة من تجارب غيرها من الدول الناجحة في مجال المحافظة و حماية التراث العمراني و المعماري و دمجها في الديناميكية الاقتصادية على غرار السياحة، خاصة تلك التي تتوفر على نفس المميزات الجغرافية و التاريخية و الاجتماعية كتونس التي حققت قفزة نوعية في استغلال مقوماتها التاريخية في خدمة الاقتصاد و صناعة السياحة حسب ما تطرقنا إليه خلال دراستنا هذه . كما أشارت مديرة الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة، إلى أن بعض الدول تشاركنا نفس الإشكاليات في موضوع الترميم وتأهيل المدن القديمة، لكنها ترى أن أقرب تجربة هي التجربة التونسية، حيث نفتسم معها بعض الاهتمامات، منها موضوع الميراث والملكية وهو ما يستدعي الاهتمام. كما ترى أن ما جعل القصبة تموت، هو النشاط التجاري الغائب، ولن تعود إلى سابق عهدها إلا بالرجوع إلى هذا النشاط، و نحن نشاطرها الرأي في ذلك.

كما نؤكد على تشجيع النشاط السياحي الدائم وكثرة النزول والمراعد والمطاعم، واستمرار النشاطات الثقافية وبعث الحرف التقليدية وغيرها. و العمل على تحقيق سهولة النفاذ لأزقتها من خلال تهيئة مواقف للسيارات في محيطها القريب.

كما يرى الخبير الدولي منير بوشناق، انه لا يمكن أن تعيش القصبة كما كانت تعيش في القرن ال18، بل عليها أن تنخرط في حركة العصر وتصبح نسيجاً متكاملًا مع مدينة الجزائر العصرية، وبالتالي فإن الترميم والتنمية لا بد أن يكونا وجهان لعملة واحدة. هناك .حسبه- نماذج لمدن قديمة أخرى عبر العالم، خلقت نشاطات حرفية واقتصادية داخل أحياء كانت مهجورة، منها ميتيرا جنوب إيطاليا التي انتشلت من النسيان، وتم إحيائها وتصنيفها، تم فيها إنشاء عدة مرافق، منها أروقة عرض الأنشطة الثقافية وإدخال وسائل التكنولوجيا. كذلك الحال مع حي عتيق بهافانا الكوبية، حيث أخرج سكانه إلى بنايات مجاورة، وعند إتمام الترميم عادوا حفاظا على النسيج الاجتماعي للمدينة العتيقة.

و في إطار هذه الدراسة كذلك نؤكد على أهمية الاستفادة من التجربة التونسية في الحفاظ على نسيجها العمراني التاريخي من خلال عمليات الترميم وإعادة التوظيف في سبيل تحقيق الاستدامة الاجتماعية، الثقافية و الاقتصادية.

10-خاتمة:

تظل المدينة العتيقة كغيرها من الأنسجة الحضرية التاريخية تشكو عدة تحديات كتقادم البنية العمرانية وتعدد المباني الآيلة للسقوط و هجرة السكان الأصليين إلى مجالات مركزية أو طرفية أخرى. كما تختلف درجة الاهتمام بها و الحفاظ عليها و دمجها في عجلة التنمية و مسايرة العصرنة من بلد لآخر على غرار تجربتي الجزائر و تونس.

تطرح مسألة استدامة هذه الأنسجة وقدراتها الوظيفية والتنموية كأهم المسائل جدلا في الآونة الأخيرة من قبل الفاعلين في المسألة التراثية. و من المؤكد أنه لا يمكن رد الاعتبار و إحياء معلم دون إعطائه وظيفة وهو ما عملت على تبنيه الدولة التونسية و ما سعت الجزائر من أجله كذلك. و في هذا الإطار قامت دولتنا بعمليات تجديد وإعادة توظيف لمعالم المدينتين وغيرها من المدن إلا أن دولة تونس اعتمدت السياحة كمقوم تنموي ساهم في إنقاذ ما تبقى من الإرث الحضري. ولكن رغم النتائج المنجزة تبقى الرهانات في الاستدامة وتحقيق نتائج تنموية هامة غاية تحد منها هشاشة القطاع السياحي وانتظام وفوده .

المراجع

Beji, A. (2022). "Comment le rapport au patrimoine transforme les pratiques de réappropriation de la médina de Tunis. ." OpenEdition journals territoire en mouvement: 53-54

.chaline, c. (1997). "Les villes du monde arabe." Annales de Géographie: 546-547

.MEDIEN, H. S. O. B. (2023). "La médina de Tunis de la vulnérabilité à la résilience." Urban Art Bio **21**

. .Rehabimed (2011) HABITER EN MEDITERRANEE HABITER EN MEDITERRANEE

." trabelssi, M. (2019). "LA MEDINA DE TUNIS : Tourisme, Patrimoine et Gentrification. Tunis

Tunis, A. d. (2022). " une stratégie de sauvgarde durable le cas de la médina de Tunis." ICOSMOS international

tunisie, M. d. c. (2016). "POLITIQUE CULTURELLE : VALORISATION DU PATRIMOINE POUR UN Agenda 21 pour culture ".DEVELOPPEMENT DURABLE. Tunis

Unesco (2020) Médina de Tunis UNESCO Convention du patrimoine mondial

التونسية, ا. (1994). "قانون عدد 35 لسنة 1994 "مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية: 2-21.

الجزائر, ب. و. (2019). عمليات الترحيل وإعادة الإسكان ببلدية القصبة.

الجزائري, ا. ا. ل. (2021). ترحيل 450 عائلة بالقصبة إلى سكنات جديدة.

الجلاد, أ. (1992). "التخطيط السياحي والبيئي بين النظرية والتخطيط، مصر." دار الرضا، دمشق.

الدباغ, م. ط. ا. إ. م. ع. (2008). "مبادئ السفر والسياحة." مؤسسة النشر والتوزيع، الأردن.

العاني, ر. م. (2008). الإستثمار و التسويق السياحي, دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع

براس, ت. (2020). جولة إلى شارع الصناعات التقليدية في الجزائر

بودهان, ي. (2021) الحرف التقليدية بقصبة الجزائر تواجه خطر الزوال

بودهان, ي. (2022) الحرف التقليدية بقصبة الجزائر تواجه خطر الزوال

بوكة, ع. ا. (2022) قصبة الجزائر الحمار ينافس الشاحنات لنقل النفايات

حاشي, ع. (2016). دويرات قصبة الجزائر إرث حضاري يقاوم الإندثار ا. الجزائرية.

حموش, ب. ا. ب. م. ب. (2004). "خطط مدينة الجزائر " المجمع الثقافي أبو ظبي.

قيزاني, م. (2020). "الأنشطة الاقتصادية وتنظيم المجال بالمدن العتيقة التونسية: تونس وسوسة والقيروان و صفاقس." مجلة التخطيط العمراني والمجالي 6.